تأويل جزء عمّ

أنوار التنزيل وحقائق التأويل

فضيلة العلامة الإنساني الكبير
محمد أمين شيخو
قدَّس الله سرّه

جمعه وحققه المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

§§§§

موقعنا على شبكة الإنترنت:
www.amin-sheikho.com
info@amin-sheikho.com

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــة

"جزء عمَّ" به الآيات الكونية المحسوسة الملموسة وأنَّ بالنظرات الكونية التأملية بصفاء بها ينتقل طالب الوصول للإله العظيم للاتصال بربِّه، حتى إذا عقل عظمتها توصَّل لعقل عظمة مُبدعها، صانعها العظيم، والتفتت نفسه التي خشعت للصنع واستعظمته إلى الخشوع والاستعظام للصانع وتنعَّمت بهذه المشاهدة التي انتقلت من المشاهدة العينية إلى المشاهدة القلبية النفسية، فسرى نوره تعالى وعظمته إلى نفس طالبه مشاهدة نفسية تركع لها النفس وتعود إليها في ركوع كل صلاة من الصلوات الخمس، فتغدو الصلاة والاتصال حقيقياً لا صورياً فقط.

عندها تخرُّ النفس على بحور مشاهدات أسماء الله الحسنى مستغرقة به تعالى، حيث تفتَّحت منها عين البصيرة وتنعَّمت بالقرب بمن به الكائنات بأسرها تنال وتتنعَّم، وعادت إلى الوفاء بعد الجفاء والقُرب بعد البُعد، والحب والهيام بالله بعد جفوة الانقطاع، بذا تشرق النفس وتستقي من معين الحضرة الإلهية تغذية لا تميل بعدها إلى الدناءات وتسمو وتتسامى بأنسها بربِّها، وتشرب وترتوي من ربِّها شراب الحياة السرمدية ماءً غدقاً لا تظمأ ولا تموت بعده أبداً، فكل نفسٍ خالدة، ولكن هذه النفس الصادقة خلدت بإيمانها وصلتها وصلاتها بربِّها واستنارتها الوثيقة بنوره تعالى إلى الروح الدائمية المرفقة بالريحان وجنَّات النعيم، فبالوصول بهذه الأصول تكون قد نالت الكمالات الإنسانية، وتنمحي منها صفات السوء والمكر والخداع وتغدو وقد تدثرت بوشاحات الفضائل كلّها وازدانت بسعادة لن تخرج منها وتكسب المعالي وتسمو للإنسانية الحقَّة.

فكل من صدر بالتفكير بهذه الآيات الكونية التي تُشير إليها آيات جزء عمَّ وتحثُّنا عليها ورد شهود الحقائق وغدا عالماً حكيماً، فبها موادُّ مدرسة عظمى بها درس أبونا إبراهيم فصار عظيماً وغدا أبا الأنبياء..

بمواد هذه المدرسة صدر أهل الكهف نُوَّامُهُ، طلبوا الإله الحق، وبهذه المدرسة وصلوا لربِّهم حينما أعملوا تفكيرهم بالصنع المشار إلى آياته بجزء عمَّ، فتوصَّلوا إلى الصانع العظيم، فكشف عنهم لثام العمى واستناروا بربِّهم وشاهدوا عظيم جلاله فأحياهم تعالى نفسياً وجسدياً، نموذجاً كاملاً لمن أراد النجاة والفوز، سموّاً وعلواً فوق الكائنات، ليكونوا عبرة وأنموذجاً كاملاً لكل طموح للمعالي .

وصحابة الرسل الكرام وصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم طبَّقوا آيات جزء عمَّ فتوصَّل المهاجرون الكرام إلى درجاتٍ من السمو والعلو وتَبِعَهم الأنصار بتطبيق هذه الآيات المكِّية فثبتوا على الحق حين ارتد العرب بالردة إثر انتقال الحبيب صلى الله عليه وسلم، ثم ردُّوا الفرس والبيزنطيين إلى فراديس النعيم والسعادة الدنيوية والأبدية.

بآيات جزء عمَّ بحثاً وتحقيقاً وتدقيقاً يصل المرء إلى العلم بلا إله إلا الله بعد تفكيره المتواصل، وهو العلم المطلوب من الله تعالى لهذا الإنسان ليحقِّق إنسانيته على علم بقوله تعالى (فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ ...) سورة محمَّد: الآية (19). ويحصل على الخشية بجناب العظيم جلَّ وعلا "وكفى بالمرء علماً أن يخشى الله".

وبذا يصبح الإنسان في حال يشهد وجود الإله ويشهد معه أن الله تعالى ناظر رقيب، ومشرف قريب، فيستقيم ولا يتحرَّك إلاَّ بأمر الله وتستحكم صلته بالله ومحبته به وبرسوله فيغدو من أهله ويسمو لأوج إنسانيته ويحقِّق مراد الله تعالى من خلْقه سموّاً وعلواً متدرِّجاً بمنازل الكمال ومراتب الأنس بالله.

كتاب (جزء عمَّ) يتضمن مدرسة سيدنا إبراهيم صلى الله عليه وسلم أبي الأنبياء بها سلك ومنها صدر وقام بما قام به من جلائل الأعمال.

آيات جزء عمَّ تتضمن أسماء الله الحسنى، وحينما طبَّقها الصحابة الكرام وعقلوها غدوا سادة الدنيا وأخرجوا الناس من الظلمات إلى النور .. من البهيمية العمياء إلى الإنسانية العلياء... شموخ ما بعده شموخ، وسموا في الحياة وفي الممات، لعمْرُ الحق بعقل آيات جزء عمَّ حصلت المعجزات.

فتوحات علمية كبرى ويقينية عظمى فأنقذونا من الاستعمار البيزنطي والفارسي وبهذه المدرسة فتحنا الكرة الأرضية ، كانوا منارات ومشاعل مضيئة يضيئون للإنسانية سُبل الهداية والسلام... فعليك بالتحقيق بآيات عمَّ واربأ بنفسك أن ترعى مع الهمل، رشَّحك الله لمقام لو فطنت له...

نرى فيه أن الله عمَّنا بفضله وإحسانه وكلأنا برحمته وعظيم رعاياته، وبه نرى العدالة الإلهية تتجلَّى بأجلى معانيها وقد انقشرت قشرة الدسوس فبان وجه الحقيقة الناصع وتجلَّت كمالات الله بأجلى معانيها، فأعظم بتاليها وذاكرها وقارئها وناشريها ينابيع الحق والحقيقة والدين، وكل هذا من فضل من سما وعلا فوق العُلا فأكرم به صلى الله عليه وسلم وأعظم لتدبر هذه المعاني وتطبيقها، ولتكن لك به أسوة صلى الله عليه وسلم عُليا وقدوةٌ أبدية سرمدية ... فبِهِ نهض الصحابة الكرام وبه بدأ رسول الله

صلى الله عليه وسلم ومنه كان نجاح الدولة العرباء والصفوة الأخيار من شعوب وأمم أفاقت على النعيم والسعادة بعد أن كانت سادرة في كوابيس الظلام ...

هذا طريق الجنان وبه يتخرَّج متخرّج من صفوف الحيوان ويسمو إلى سوية الإنسان الذي يستأنس بالعلي الأعلى الوهَّاب فتستأنس به المخلوقات والأرض والسموات ..

ليس هذا فقط كان به سمو أبينا إبراهيم العظيم صلى الله عليه وسلم، بل به سلك أوج المعالي كافة الرسل الكرام وا لأنبياء العظام فلكاً ففلكاً وأخرجوا العوالم للنور والبهجة والسرور وأنالوهم سعادة الدنيا والآخرة.

تقديم المربي الأستاذ
عبد القادر يحيى الشهير بالديراني

تأويل سورة الناس

سورة الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ (1) مَلِكِ النَّاسِ (2) إِلَهِ النَّاسِ (3) مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ (4) الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ (5) مِنْ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ (6)

في هذه السورة الكريمة يُرشدك الله تعالى أيُّها الإنسان إلى الوسيلة التي تخلِّصك من شرِّ الشيطان ومن وساوسه، فإن أنت تمسَّكت بإرشاده تعالى فعندها تُبصر حقيقة كل شيء. وبِذا تُميِّز الشر من الخير، ولا يعود لهذا العدو عليك من سبيل، ولذا قال تعالى:

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ، مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ }.

والمراد بكلمة (قُلْ أَعُوذُ): أي: قل [1] أيها الإنسان لنفسك إني أعتز وألتجئ.

وليكن حالك دوماً حال المعتز بربِّه، المتمسِّك بمالكه، الملتجئ إلى إلهه ومسيِّره، وقد بيَّن لك تعالى ثلاث صفات من صفاته ليكون ذلك سبباً يحمل نفسك على الإقبال عليه، ودافعاً يجعلك ترى ضرورة هذا الإقبال فلا تج د لك مندوحةً عنِ الاعتزاز به والالتجاء الدائم إليه، فهو تعالى: {رَبّ النَّاسِ}.

والربُّ: كما مرَّ في سورة الفاتحة [2]، هو: المربي المُمِدُّ بالحياة، ولا يقتصر إمداده على عنصر من عناصرك، بل يشمل نفسك وجسدك وكل عضو من أعضائك، وبشيء من التفصيل نقول:

العينُ وما فيها من الأجهزة والطبقات التي تُعينها على رؤية الأشياء، والأذن وما فيها من الأغشية والعظيمات التي تساعدها على سماع الأصوات، والقلب وما فيه من أربطة وأوتار، والجهاز الهضمي وما يتعلَّق به من غدد وعصارات، وإن شئت فقل : كل ذرَّة من ذرات جسمك، لا بل كل حجيرة من حجيراتك مهما صغرت ودقَّت، حتى تصل إلى ما لم يتصوَّره خيالك، أو يدركه فكرك، كل ذلك يقوم وجوده ويستمر بقاؤه ويبقى كيانه وتكوينه بهذا الإمداد المتواصل.

فإمداده تعالى لك كلّي، وإمداده تعالى دائمي لا ينقطع أبداً، ولا يتوقف عنك في لحظة من اللحظات.

وهو تعالى {مَلِكِ النَّاسِ}، والملك : هو الذي مَلَكَ الناس بإمداده وتربيته، فهم باحتياجهم إليه مستسلمون له، ومفتقرون لفضله وإمداده، وهم مضطرون دوماً بنفوسهم وأجسادهم لاستدامة الصلة به، واستمرار الإقبال عليه.

وهو تعالى {إِلَهِ النَّاسِ}، والإله: كما مرّ معنا في سورة الفاتحة هو المُطاع والمسيِّر طوعاً أو كرهاً، فهو إله الناس يسيِّرهم على حسب اختيارهم، بما يناسبهم وبما يكون به صلاح حالهم، فبه تعالى سيرك في أعمالك وجميع شؤونك، وبه تعالى تسيير كل عضو من أعضائك.

فاليد تعمل وتتحرك، والعين ترى وتُبصر، والأذن تصغي وتسمع، والأنف يشم، والفم يمضغ، واللسان يتحرَّك ويتكلَّم، والقلب يتَّسع وينقبض، والصدر يعلو ويهبط.

وبصورة مجملة: ما من حاسة من حواسّك، ولا عضو من أعضائك إلاّ وهو مسيَّر بأمر الله تعالى، وخاضع لتسييره، فَلَكَ المشيئة والاختيار، ومنه تعالى الحول والقوة والتسيير في الأعمال.

فربُّ الناس ومَلِك الناس وإله الناس يأمُرُكَ بأن تعوذ به دوماً في كل لحظة من اللحظات.

وكلمة (الناس): اسم جنس لبني آدم، وقد سُمُّوا بالناس لأنهم بمجيئهم لهذه الدنيا وخروجهم لعالم الصُّور والأجساد نسوا ما كانت عليه نفوسهم في عالم الأزل من المعرفة بالله تع الى [3]، فكان هذا الجسد المادي حجاباً حجب النفس عن معرفتها بذاتها من حيث ضعفها وحاجتها وافتقارها الكلِّي إلى خالقها ودوام عنايته بها، فإن هي عادت إلى الإقبال على ربِّها تذكَّرت حالها الأول ورجعت إلى سابق معرفتها، قال تعالى:

(... وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلاَّ مَنْ يُنِيبُ). سورة غافر: الآية (13)

(... وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ). سورة آل عمران: الآية (7).

فإذا اعتززت بالله صاحب هذه الصفات المذكورة اعتزازاً صادقاً والتجأت إليه التجاءً كلِّياً، فهنالك تخلص من شر الوسواس الخناس، ولذلك قال تعالى:

{مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ}:

والشر: هو الأذى والضرر، والوسواس : مأخوذة من وَسْوَسَ، أي : تكلَّم بكلام خفي وحدَّثَ بالشرِّ، والخَنَّاس: مأخوذة من خنس، أي : تأخَّر وانقبض، والوسواس الخناس: هو الشيطان، وهذان الاسمان يدلاَّن على صفتين من صفاته، فهو وسواس لأنَّه

يُوسوس للنفس، ويُحدِّثها بالشر عندما تكون منقطعة عن الله، وهو خنَّاس لأنه يندحر مطروداً، ويتأخَّر منقبضاً متراجعاً عندما تعود النفس إلى الاعتزاز بالله والإقبال عليه.

فإذا استمرَّت النفس على إقبالها، وكانت دائمية الصلة بربِّها، فلا سلطان له عليها البتَّة، وهو لا يستطيع الدنو منها، ولا يجرؤ على الوسوسة إليها.

وتظل هذه النفس في حصنٍ حصين، وحرزٍ منيع ما دامت في حضرة الله وعلى اتصال دائم به، فإن هي خرجت من تلك الحضرة المقدَّسة، هرع إليها الوسواس يحدِّثها بما يحزنها ويسوؤها، وبما فيه الشر والأذى.

أما كيفية الوسوسة فقد بيَّنها تعالى لنا بقوله:

{الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ}.

وقد ذكر لنا تعالى الصدور لأنها مستقر النفس ومركزها [4]، فالشيطان يوسوس للنفس المنقطعة عن الله ويتراءى تزيينه لها.

وأخيراً بيَّن لك تعالى مدخل الشيطان عليك، والطريق الذي ي سْرُبُ منه إليك، فقال تعالى:

{مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ}:

فهو على حسب ما تبيِّنه الآية الكريمة: يوسوس للإنسان عن طريقين:

1- طريق باطن خفي لا تراه بعينك، ولا تدركه بحواسك، بل تشعر به في سرِّك وتدركه بنفسك، وذلك عندما يأتيك بذاته فيحدِّثك بما فيه معصية الله . وهو المراد بكلمة (الْجِنَّةِ).

2- وطريق ظاهر جليّ، وذلك عندما يأتيك متلبِّساً بالناس المعرضين عن الله، فيحدِّثك بلسانهم بما فيه ضررك، ويزيِّن لك بواسطتهم بما فيه الخروج عن أمر الله، وفي ذلك ما فيه من تعاستك وشقائك.

وهذا هو المراد بكلمة (الناس) في هذه الآية الأخيرة.

فإذا أنت أقبلت على الله وعُذت به، خَلَصْتَ من شر هذا الوسواس، وعشت سعيداً في كنف ربِّك الرحيم، وخالقك الكريم.

تأويل سـورة الفلق

سورة الفلق

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ (1) مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ (2) وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ (3) وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ (4) وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ (5)

في هذه السورة الكريمة يبيِّن لنا تعالى أن الالتجاء إليه يُخلِّصنا من الشرور كلِّها ويجعلنا في مأمن منها.

وقد سلكتْ بنا هذه السورة في بيانها الطريقة التي سلكتها سورة الناس من قبلها، فذكرتْ لنا عظمة ربنا لتذعن نفوسنا إليه وتقبل عليه إقبالاً صادقاً بعد أن بيَّنت لنا الثمرة التي نجنيها من التجائنا والفائدة التي نحصل عليها من اعتزازنا بربِّنا .

وإذا كانت سورة الناس كدرس أوّلي تعرِّف الإنسان أوَّل ما تُعرِّفه بربِّه، وتُبيِّن له أنَّ الاعتزاز به تعالى يخلِّصه من شر الشيطان في نزغه ووساوسه، فهذه السورة، سورة الفلق، تنتقل بالإنسان إلى أفق أعلى من ذلك، فتبيِّن له أنَّ ربَّه الذي يلتجئ إليه هو ربّ الكون كله والممدّ بالحياة لهذا الوجود جميعه، ثم هي بعد ذلك تُفصِّل لنا الشرور التي نخلص منها إذا نحن التجأنا إلى ربِّنا ولذلك قال تعالى :

{قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ}:

هذه الآية الكريمة تدعونا إلى الالتجاء إلى الله، والاعتزاز به تعالى (قُلْ أَعُوذُ) أي: قل لنفسك أيها الإنسان أن تعتز وتلتجئ إلى ربِّ الفلق، فما هو الفلق؟ .

الفلق: مأخوذة من فَلَقَ، وفَلَقَ أظهر الشيء بعد احتجابه، وكشف عنه الظلمة، والفلقُ هنا: كلمة جامعة تشمل كل ما أظهره الله تعالى، وما سيظهره إلى الوجود، مما كان موجوداً في علمه تعالى من قبل في عالم الأزل، يوم إيجاد الأنفس، وينطوي تحت كلمة (الفلق): الأرض والسماء، والشمس، والقمر، والحر، والبرد، والليل والنهار، والإنسان والحيوان، لا بل كل شيء أوجده الله في هذا الكون، أو سيوجده أو يُظهره إلى العيان، وعالم الصور والأجساد.

فالله سبحانه ربُّ الفلق، أي: هو المربِّي الممد لكل ما في الكون بالحياة، ولكن من أي شيء نعوذ بربِّ الفلق؟. لقد بيَّن لنا تعالى ذلك بقوله:

{مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}:

والشر: هو الشهوة الخبيثة التي تتولَّد في نفس المخلوق عند إعراضه عن الله .

وأما في هذه الآية فإنما تعني الأذى المتولِّد عن الشهوة والضرر الناشئ عنها بعد خروجها من النفس إلى حيِّز العمل .

وخَلَقَ: هنا تعود على الله، فبالله تعالى يكون الخلق، أي : يكون خروج ما في النفس إلى الوجود، ومنه تعالى يكون الإمداد بالفعل، فالمخلوق يشتهي ويختار في نفسه، وبعد ذلك يحصُلُ الخلق من الله تعالى، ويكون مجمل المعنى في قوله تعالى : {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ}:

أي: أعوذ بالله مما ينبعث عن المخلوق من أذى وضرر خَلَقَهُ الله عند شهوة هذا المخلوق واختياره.

{وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ}:

والغاسق: هو المظلم، مأخوذة من الغسق، وهو الظلمة الشديدة، والمراد بالغاسق هنا : الشيطانُ، فهو بإعراضه عن الله وبعده عنه أصبح مُظلِم النفس .

ووقَب: أي دخل في الوقب . والوقب: هو الحفرة في الصخرة يجتمع فيها الماء، وهو الكوَّة العظيمة، أي: النافذة، والمراد بالوَقَبِ هنا : صدْر الإنسان فإذا أعرض الإنسان عن الله جاءه الغاسق، ودخل ووقب في صدره . وجعل يُخيِّلُ للنفس ليُخْرِج منها الأشياء المؤذية التي تولَّ دت فيها من جرَّاء إعراضها عن ربِّها، وبهذا التخييل والتزيين يحصل العزم على تنفيذ الشَّهوة، فإذا استمرَّت النفس على إعراضها، وأصرَّت على شهوتها وفعلت ما زيَّنه الشيطان لها، فهنالك يعود عليها فعلها الخبيث بسيء العذاب وأليم الوجع، وذلك العذاب والألم هو الذي يتسبَّب عن الغاسق.

فبالالتجاء إلى الله تَخلُص النفس من العذاب والشقاء الذي يتولَّد عن الفعل الخبيث الناشئ عن تزيين الشيطان وتخييله.

وهذه الآية التي شرحناها الآن مرتبطة أوثق ارتباط بالآية التي قبلها، إذ إنها تبيِّن لنا أن الشر الذي يقع علينا من غيرنا من المخ لوقات ناشئ ومنبعث عن الأعمال الخبيثة التي زيَّنها لنا الشيطان، فقمنا بها وآذينا بها غيرنا من الخلق، ويوضِّح لنا ذلك قوله صلى الله عليه وسلم:

« اللهم إني أعوذ بك من شرِّ نفسي، ومن شرِّ كلِّ دابةٍ أنت آخذٌ بناصيتها، إنَّ ربِّي على صراطٍ مستقيم » [5].

فهذا الدعاء يوضّح لنا ما جاء في هذه السورة، ويبيِّن لنا شرَّ نفوسنا، أي إن الأذى الذي يقع منا على غيرنا يعود علينا بأذى ينبعث عن مخلوق من المخلوقات، وقد بيَّن لنا هذا الدعاء أيضاً أنه لا يصيبنا شيء إلا بإذن الله ضمن الحق، فإن نحن فعلنا ما نستحق عليه التأديب، أعا د علينا أذانا بواسطة دابة من الدواب، أي كل مخلوق يدبُّ على الأرض، وذلك ما تعنيه كلمة (دابة أنت آخذ بناصيتها) الواردة في الحديث الشريف.

فما من شرٍّ يقع علينا إلاَّ وقد سبقه شرٌّ صدر منا، وأوقعناه نحن على غيرنا، قال تعالى:

(أَوَلَمَّا أَصَابَتْكُمْ مُصِيبَةٌ قَدْ أَصَبْتُمْ مِثْلَيْهَا قُلْتُمْ أَنَّى هَذَا قُلْ هُوَ مِنْ عِندِ أَنفُسِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) سورة آل عمران: الآية (165).

{وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ}:

والنفَّاثات: مأخوذة من النَفَثِ، والنَفَثُ : هو ما يلقيه الإنسان من فيه (فمه) من البصاق، والنفث: هو الإلقاء والرمي، يُقال : نَفَثَتِ الأفعى السُّمَّ : إذا أَلْقَتْهُ ورمتْ به في جسم الملدوغ، فالأفعى والحالة هذه نافثة .

وإذا أردت المبالغة وتكرّر صدور الفعل منها، قلتَ : نفَّاثة، الجمع: نفَّاثات: والنفَّاثات إذاً: الملقيات.

المراد بالنفَّاثات في هذه الآية الكريمة: الساحرات.

والعقد: جمع عقدة، والعقدة : هي كل شيء يمكن إبرامه وإحكامه، والعقدة : كل ما يملك الشيء ويوثقه. والمراد بالعقد في هذه الآية : الروابط الاجتماعية كعقدة النكاح التي تربط وتوثق العلاقة بين الرجل وزوجته، وا لروابط التي تربط بين الصديق وصديقه.

والمراد بالنَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ : الأنفس الشريرة التي تتخذ السحر وسيلة تتوصَّل به إلى مآربها الدنيئة.

فالسواحر نفَّاثات، لأنهنَّ يُلقين ما في نفوسهن من خبث ومكر، فيكون من عملهن هذا الإفساد بين شخص وشخص.

ونفْثُ الساح ر كما يُفهم من كلمة (فِي الْعُقَدِ) الواردة في هذه الآية يكون على صورتين:

1- فإمَّا أن يكون مراده من نفثه إيجابياً، وهو التقريب والجمع بين شخص وشخص، ويكون عزمه منصرفاً إلى عقد العقدة وإنشاء الرابطة غير المشروعة .

2- وإما أن يكون مراده من نفثه سلبياً، وذلك ب التفريق وإلقاء العداوة والبغضاء بين المرء وزوجه وبين الفرد والفرد كما نزغ بين سيدنا يوسف وإخوته (... مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي) سورة يوسف: الآية (100). وتكون بغيته في هذه الحالة هادفة إلى حلِّ العقدة وإفساد العلاقة القائمة. قال تعالى:

(.. فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ). سورة البقرة: الآية (102).

ولكن كيف ينبعث الأذى من الساحر إلى المسحور، وكيف تستطيع النفاثات التأثير على أحد الأشخاص؟.

1- فمن حيث الظاهر : الساحر في نفثه يسوق الشيطان نحو المسحور ؛ ويستخدمه في التخييل إليه بما يرغب من الخيالات .

2- ومن حيث الباطن : الشيطان يستخدم الساحر فيتوصَّل بواسطته إلى المسحور، فيخيِّلُ إليه ما يشاء مما فيه إيقاع الأذى وإنزال الضرر، وبشيء من التفصيل نقول:

إن الساحر عندما يتَّجه إلى المسحور ي سري شعاع نفسه إليه، فينتهز الشيطان هذه الفرصة ويسري في ذلك الشعاع ويدخل فيه على المسحور، وهنالك يخيِّل له ما يشاء من إنشاء روابط، أو نقضٍ، أو حلّ للعلاقات القائمة.

والحقيقة كل الحقيقة : أن الساحر لا يُمكَّن من سَوْق الشيطان . وكذا الشيطان لا يستطيع استخدام نفس الساحر، إلا إذا كان المسحور امرأً ظالماً من قبلُ مستحقاً لذلك الأذى الذي يشترك الشيطان والساحر في إيقاعه عليه. قال تعالى:

(... وَمَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ). سورة البقرة: الآية (102).

وإذاً الشهوة الخبيثة التي تتولَّد في نفس الإنسان عند إعراضه عن الله، وذلك الأذى الذي ينبعث منها ويوقعه المرء بغيره ؛ هو الذي يعيد على الإنسان عمله فيجعل هذين الشريكين الخبيثين يتسلَّطان عليه ويسحرانه، ولو أنه كان مُقبلاً على الله لما فعل شرّاً، ولما ناله منهما ضرر ولا أذى.

فالالتجاء إلى ربِّ الفلق إذاً يخلِّصنا من شرِّ النفَّاثات في العقد .

{وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ}:

والحاسد: هو امرؤ مُعرض عن الله، يرى النعمة على غيره فيستهويها ويستحبّها، ويتمنَّى زوالها عن صاحبها ومجيئها إليه.

وإذا حسد: أي إذا قام بالحسد وصَدَرَ منه ذلك الاستهواء ، والاستحباب لتلك النعمة، أما الأذى المتولِّد عن حسده فهو ما يسمُّونه في العامّية : بالإصابة بالعين.

ولعلك تقول: كيف يقع الأذى من الحاسد على المحسود؟ .

فأقول: إن الحاسد عند رؤية النعمة واستهوائه الشديد لها، تسري نفسه نحو نفس المحسود، حتى إنها لتلامسها وتصطكّ بها، ويشتبك شعاعها بشعاعه، وهنا يتهيأ السبيل للشيطان، فيتخذ من نفس الحاسد مسلكاً وطريقاً يمرُّ به إلى نفس المحسود، فيوقع ما يوقعه من المرض والمضرَّة، وتكون نفس الحاسد آنئذٍ بالنسبة للشيطان كالسلك بالنسبة إلى القوى الكهربائية، ولولا ذلك الحاسد لما وَجَد ا لشيطان سبيلاً يتوصَّل به إلى نفس المحسود، ولو أن المحسود كان مُقبلاً على الله مُلتجئاً إليه لما استطاع الشيطان أن يدخل في نفسه، ولما تمكَّن من إيذائه والإضرار به، ذلك لأن الإقبال على الله يجعل النفس مُحاطة من جميع جهاتها بنوره تعالى، وبذا تصبح في حرزٍ منيع، ويقف ذلك النور الإلهي سدّاً بينها وبين الشيطان، فإذا أراد اختراقه هَلَكَ واحترق.

والتجاؤك إلى الله كما يحفظك من شرِّ الحاسد يحفظك أيضاً من أن تكون نفسه مرتبطة بنفسك، أو من أن تكون نفسك مرتبطة بنفسه، ومتجهة إليه.

فأهلك وأولادك، حتى الأشياء التابعة لك، وكذ لك جميع الأشخاص الذين تحبُّهم ويحبُّونك يُحفظون بوجهتك إلى الله من الإصابة بالعين، وتلك الإصابة هي شرُّ الحاسد. وأخيراً نختم القول فنقول:

الإقبال على ربِّ الفلق، والالتجاء الدائم إليه، يحفظ الإنسان من كلِّ الشرور ويدفع عنه جميع ما يكره وما قد يقع عليه من السوء والضرر.

تأويل سورة الإخلاص

سورة الإخلاص

بسم الله الرحمن الرحيم

قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ (1) اللَّهُ الصَّمَدُ (2) لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ (3) وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ (4)

بعد أن أمرنا ربُّنا في السورتين السابقتين بالالتجاء إليه، وبعد أن تبيَّن لنا أن ذلك الاعتزاز الدائم به يكون سبباً في خلاصنا من كلِّ شيء يسوءنا وشرٍّ يصيبنا، أراد تعالى أن ينقلنا في هذه السورة إلى درجة أعلى من المعرفة، فذكرَ لنا من الآيات ما يُعرِّفنا بذاته العليَّة وصفاته الحسنى معرفة تجعلنا نعكف بنفوسنا عليه، ولذلك قال تعالى:

{قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ}.

وكما مرَّ في المعوذتين (قل): أيها الإنسان لنفسك وعرِّفها أن الذي أُمرت بالالتجاء إليه والاعتزاز الدائم به، هو الله.

وكلمة (الله): هي اسم الذات، يدلُّك لفظها على المسمَّى جلَّ جلاله، ويبيِّن لك أنك إن عرفْته تولَّهت به عشقاً، وطارت نفسك لما تشهده من إكرامه وفضله شغفاً وحباً، فربُّ الناس، وربُّ الفلق، هو الله الذي تتولَّه الأنفس به إذا هي أقبلت عليه، ويحار العقل في شهود كماله إذا هو نظر إليه، فهو سبحانه العليم الحكيم، واللطيف الخبير، والرؤوف الرحيم، وهو سبحانه المتَّصف بالكمال الذي لا يتناهى، والذي تدلُّك عليه أسماؤه الحسنى.

ولله تعالى كما ورد في الحديث الشريف تسعة وتسعون اسماً:

« إنَّ لله عزَّ وجلَّ تسعة وتسعين اسماً من أحصاها دخل الجنَّة » [6]

وكلمة (الله) جامعة لها كلِّها، فإذا ذكرت كلمة (الله)، فقد ذكرت اسم الله الأعظم الجامع لسائر الأسماء، والدالَّة على صفات الكمال.

ويكون معنى قولك : {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ }، أي: قل لنفسك: بأن ذلك الربّ هو الله، صاحب الكمال الذي تتولَّه به الأنفس: إذا هي شهدت فضله وأقبلت عليه.

والأحد: الواحد الذي لا يكون متعدِّداً. وأحد توضِّح لنا في هذه الآية كلمة (الله).

فصاحب الكمال وهو الله تعالى، أحدٌ في علمه وحكمته، أحدٌ في قوَّته وقدرته، أحدٌ في رأفته ورحمته، أحدٌ في ذاته ومتفرِّد في كلِّ صفة من صفاته .

{اللَّهُ الصَّمَدُ}:

والصمد: هو الدائم الرفيع الذي لا يستمد من أحد، ولا يحتاج إلى غيره، فإذا كان المخلوق يحتاج في وجوده إلى موجدٍ يُوجده ويربِّيه، وفي حياته إلى محيٍ يمدُّه بالحياة ويحفظها عليه، وفي قوَّته إلى قوي يمنحه القوة ويبعثها فيه، حتى إذا ما انقطع عن هذا الإمداد لحظة انعدمت قوته وانقطعت حياته وانمحى وجوده وزالت عنه كل موهبة، وافتقد كلَّ خلق أو صفة كانت لديه، فالله سبحانه لا يستمدُّ من أحدٍ ولا يحتاج إلى أحد، بل هو الصَّمَدُ في ذاته، وفي كل صفة من صفاته .

فوجوده تعالى ذاتي، وهو الصَّمد في وجوده، بمعنى : أنه لم يستمد وجوده من أحد، ولا يتوقف بقاء وجوده على غيره، وقوَّته تعالى ذاتية، وهو الصَّمد في قوته، أي: أنه لا يحتاج إلى مُمد يمدُّه بالقوة، بل منه القوة، وهو مصدر كل قوة، وهو الممد بالقوة .

وحياته تعالى ذاتيةٌ . وهو الصَّمد في حياته، أي : أن حياته تعالى لم تأته من سواه، وهو مصدرُ الحياة، وهو الذي يبعث الحياة في الأكوان كلِّها، وفي كل ذرَّة من ذرَّ اته (أي ذرَّات هذا الكون وغيره من الأكوان ..).

وهكذا كل صفة من صفاته تعالى ذاتية لم يستمدها من غيره، وهو تعالى كما ذكرنا آنفاً صمدٌ في ذاته وصفاته، وقد أراد تعالى أن يفصِّل لك ذلك فقال :

{لَمْ يَلِدْ}:

ويَلِدْ: من وَلَدَ، ووَلَدَ : بمعنى صار له ولد، وبما أن الولد يكون نظير والده ومماثلاً له في صفاته، والله سبحانه لم يلد، أي : لا يمكن أن يكون له ولد يماثله في ذاته ولا صفاته، وكيف يكون له ولد، والصمد كما مرَّ : الذاتي الوجود والصفات، أي : الأسماء الحسنى.

والولد لا يكون متولِّداً إلاَّ من غيره . فلا يمكن والحالة هذه أ ن يكون له ولد له مثل صفاته.

{وَلَمْ يُولَدْ}:

ويولد: من وُلِدَ، أي: تولَّد عن غيره، وبما أن الوالد يكون أصلاً وسبباً في وجود ابنه، فالله سبحانه لم يولد، ولا يمكن أن يكون له والد، لأن الصَّمد كما رأينا ذاتي في وجوده وفي صفاته.

{وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ}:

والكفو: هو المثيل والنظير، والله تعالى الصَّمد لا يمكن أن يكون له مثيل ولا نظير، فليس له والد ولا ولد، ولا يمكن أنْ يماثله في هذه الصفات أحد، بل هو المتفرِّد في ذاته، وهو الأحد في كل ما تقدَّم بيانه في هذه السورة من صفاته، وهو مصدر الكمال كلِّه فمنه الكمال.

وبالإقبال عليه تصطبغ النفس بصبغة الكمال، وتشتق الكمال، وهو سبحانه أحدٌ في ذلك كلِّه، فلا بداية له، ولا نهاية لوجوده.

تأويل سورة المسد

بسم الله الرحمن الرحيم

تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ (1) مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ (2) سَيَصْلَى نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ (3) وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ (4) فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ (5)

بعد أن بيَّن الله تعالى لنا في سورتي الناس والفلق ما يندفع عنا من الشرور إذا نحن عُذْنا بربِّنا والتجأنا إلى خالقنا، وبعد أن عرَّفنا في سورة الإخلاص بص فاته تعالى ليكون لنا في تلك المعرفة حافز يحفِّزنا إلى ذلك الإقبال، ودافع يدفعنا إلى الالتجاء. أراد سبحانه في هذه السورة الكريمة أن يبيِّن لنا ضرورة التعوُّذ والإقبال فذكر لنا ما يجرُّه الإعراض، وما يكون عليه حال المُعرض عن الله، ولذلك قال تعالى:

{تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ}:

وتبَّت يدا: فلان أي: عجزتا وضعُفتا عن القيام بما عزم عليه من أعمال . إذ أنَّ التباب هو العجز والضعف والخسران.

يُقال: أصبح فلان تابّاً، أي: عاجزاً ضعيفاً. وفي المثل: كنتُ شاباً فصرتُ تابّاً، وأبو لهب: رجل من قريش، وهو عمُّ الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم.

وقد كان أبو لهب في الجاهلية غنياً مُثرياً، وكان يُقرِضُ الناس المال، وينال عليه فائدةً وربا، فلما أن بعث الله رسوله بالهدى ودين الحق، خافَ أبو لهب على دنياه، فقام يُشاقق ويُعارض رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو يحسب أنه إنما ي ستطيع بذلك أن يردَّ الحق، ويُطفئ نور الله، ولكن تبَّت يدا أبي لهب وقصرتْ يداه وعجزتا عن مقاومة الحق، وذهبت مساعيه أدراج الرياح .

وتبَّ: أي: خسر خسراناً كلِّياً أبدياً، فهو لم يستطع أن يدحض الحقَّ بمعارضته، بل عاد عليه سعيه بالذل والخسران في الدنيا، ورجع عل يه عمله بالخسران في الدار الآخرة، فأصبح من أهل النار والخالدين فيها أبداً .

ويكون مجمل معنى كلمات {تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ}: أي: عَجَزَ أبو لهب عن ردِّ الحق ودحْضه، ولم تُفِدْهُ معارضته، ولم تُجْدِهِ شيئاً.

وتبَّ: أي: وأهلك نفسه هلاكاً كلِّياً أبدياً، فخ سر الدنيا وما كان يناله بإسلامه من عزٍّ، وخسر الآخرة وما كان يلقاه فيها من نعيم.

{مَا أَغْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ}:

وأغنى: أي: أجداه ونفعه، يُقال : ما أغنى هذا الدواء عن المريض شيئاً، أي : لم يُفِده، ولم يدفع عنه ألماً ولا وجعاً.

فأبو لهب جمع ما جمع من مال، وعارض ما شاء أن يُعارض، كلُّ ذلك لتبقى له دنياه، وليظلَّ متمتِّعاً بما فيها من شهواتٍ، ولكن لمَّا جاء أمر الله تعالى، وحقَّ عليه الهلاك، لم يفده ولم يغنِ عنه ماله أبداً.

لم يكن ما كسبه وقام به من أعمال ليدفع عنه أمر الله تعالى، بل حاق به العذاب، وحلَّ به الشقاء دَهْر الدهور وأبد الآباد.

{سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ}:

ويصلى: من صَلِيَ، وصَلِي الأمر : قاسى شدته. والنار كلُّ جوهرٍ مُضيءٍ مُحرق، والمراد بالنار : هنا ما خالط نفس أبي لهب من الشرِّ، وما تخلَّل فيها من مُحرِقِ الشهوات والخبث.

واللهب: لسان النار الساطع، واللهب : الحرُّ والاشتعال، يُقال : لَهَبتِ النارُ، أي : اشتعلت خالصة من الدخان.

والمراد بالنار ذات اللهب، أي: النار الشديدة الاشتعال والاضطرام.

ويكون ما نفهمه من آية: {سَيَصْلَى نَاراً ذَاتَ لَهَبٍ}.

أي: إن الأعمال التي قام بها أبو لهب السيِّئ ة ستنقلب عند موته ناراً ملتهبة فيه، وما تخلَّل في نفسه من الشهوات الخبيثة سيُحرقه وسيُصبح سعيراً عليه.

ويكون والحالة هذه عمله السيِّء هو ناره وعذابه، وتعود نفس المعرِض الشريرة سعيره الذي يضطرم به ويلهبه، وهنالك ومن رحمة الله بهذا الشقيِّ المريض، الذي جرَّ لنفسه ذلك السعير والعذاب الأليم، أن يأمُر به إلى الجحيم، فتكون نار الله الموقدة [7] علاجاً لما فيه من النار، ويكون سعيرها دواءً لما يكابده من الاحتراق.

ونعوذ بالله من حال أهل النار فهم بين نارين، قال تعالى:

(هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْ رِمُونَ، يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ) سورة الرحمن: الآية (43-44).

{وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ}.

وفي هذه الآية الكريمة بيان لما سينشأ في نفس امرأة أبي لهب من العذاب وبيان للسبب الذي جرَّ لها ذلك الشقاء، قال تعالى : {وَامْرَأَتُهُ}، أي: إنها عند موتها أيضاً

Thank You for previewing this eBook

You can read the full version of this eBook in different formats:

- HTML (Free /Available to everyone)
- PDF / TXT (Available to V.I.P. members. Free Standard members can access up to 5 PDF/TXT eBooks per month each month)
- Epub & Mobipocket (Exclusive to V.I.P. members)

To download this full book, simply select the format you desire below